



ليسَ كما تعتقد...! (1)

الأجور

خطبة جمعة

2026-06-12

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عنى كل فقير، وعن كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هُداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نُضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمةً للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جئات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليمًا كثيراً.

مقدمة:

وبعد أيها الإخوة الكرام: يُروى أنّ رجلاً كان يسير في طريق صيّفة، وسط غاية مظلمة، رأى شيئاً مُلثفاً حول نفسه، يُشبه الأفعى إلى حدّ كبير، غلبت على طئه أنها أفعى، فشعرَ بخوفي شديد، وتراجع ولم يُتابع طريقه، والدنيا ظلامٌ، وعند إشراقه الصباح، تبين له أنّ ما رآه لم يكن أفعى، إنما هو حبلٌ غليظٌ مُلثفٌ حول نفسه، فشعرَ بالأمان وتابع طريقه، ما الذي حصل؟ الذي حصل أنه تعيّر اعتقاده فتغيّر شعوره فتغيّر سلوكه، تغيّر اعتقاده فتغيّر شعوره من الخوف إلى الأمن، وتغيّر سلوكه من الإجماع عن المسير إلى مُتابعة المسير.

الاعتقادات أو التصورات هي ما يُحرّك مشاعرنا وما يوجّه سلوكنا:

أيها الكرام: الاعتقادات أو التصورات هي ما يُحرّك مشاعرنا وما يوجّه سلوكنا، نحن نعتقد ونصوّر فنشعر ونتحرّك، فالأصل هو الاعتقاد والتصوّر، فإذا صحَّ التصوّر صحَّ العمل، وإذا فسد التصوّر فسد العمل.

علاقتنا مع أنفسنا ومع من حولنا يحكمها قانونٌ من ثلاث كلمات:

أيها الكرام: نحن علاقتنا مع أنفسنا ومع من حولنا يحكمها قانونٌ من ثلاث كلمات:

إدراك، انفعال، سلوك، يُعبر عنه بطريقة ثنائية: عِلْمٌ، حالٌ، عمل.

تُدرك الشيء فتتفاعل فتتحرك، هذه علاقتنا مع العالم الخارجي، تسير في طريق، ترى شيئاً مُخيفاً، تُدرك أنه أفعى سامّة، تتفاعل، فتخاف، فتتحرك، فتهرب، ترى شيئاً يتألق، تتحقّق فإذا هو ألماسةٌ ثمينة، تشعّر بالفرح فقد وجدت شيئاً ثميناً، تنزل وتلتقطه، إدراك، انفعال، سلوك، أو عِلْمٌ، حالٌ، عمل، كلاهما بالنتيجة واحد، من هنا فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم لخصّ التوبة، وهي من أعظم علاقات العبد مع ربّه، بل هي من أعظم العلاقات المُستمرّة المُتكررة بين المؤمن وربّه، لخصّ التوبة فقال:

{ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلٍ بْنِ مَقْرِنٍ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي وَأَنَا إِلَى جَنِيهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ أَبِي: أَسَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **النَّدَمُ تَوْبَةٌ** }

(أخرجه الحاكم وابن ماجه وأحمد)

النَّدَمُ انفعالٌ فكيف النَّدَمُ توبة؟! النَّدَمُ هو الانفعال، فلا بُدَّ أنه قد سبق الانفعال إدراك، عَلِمَ أنه مذنبٌ، وَعَلِمَ مقامَ الله تعالى الذي لا ينبغي أن تُذنبَ بحقِّه، أدرك فانفعل وهو النَّدَمُ، فأصلح، استغفر وتاب وأدَّى الحقوق إلى أصحابها، فلجَّص صلى الله عليه وسلم الحركة كلها بكلمةٍ، وهذا من بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم، وأسرار الحديث النبوي الشريف، قال: (النَّدَمُ تَوْبَةٌ) انتهى الأمر، ما دُمْتَ قد ندمت فمعناها أنك قد علمت، وما دُمْتَ قد ندمت، فمعنى ذلك أنك ستتحرَّك بعد النَّدَمِ لتُصلِحَ ما كان منك، فأصبحت التوبة إدراكاً بأنك مُذنبٌ، ونَدَمًا على ما كان منك، وإقلاعاً عن الذنب بالحال، ورداً للحقوق إلى أصحابها إن وجدت، عَلِمَ حالَ عمل.

الفكرة تقود الشعور والشعور يقود السلوك:

أيها الإخوة الكرام: لذلك قالوا: الفكرة تقود الشعور والشعور يقود السلوك، يقول تعالى في الحديث القدسي:

{ يقولُ اللهُ تَعَالَى: **أَنَا عِنْدَ طَرْنِ عِبْدِي بِي**، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي تَفْسِيهِ ذَكَرْتُهُ فِي تَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلِيٍّ ذَكَرْتُهُ فِي

مَلِيٍّ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَنَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً }

(أخرجه مسلم)

إن ظننت أنه غفورٌ، اعتقدت ذلك أنَّ الله غفور، فمعنى ذلك أنك قد عَلِمْتَ أنك مُذنبٌ، ففرحت بمغفرته، وأتَّجَهِت إليه بالاستغفار والتوبة، فغفر لك **(أَنَا عِنْدَ طَرْنِ عِبْدِي بِي)** هذا الظن مبنيٌّ على معرفةٍ بالله تعالى، تقود إلى سلوكٍ، وهذا السلوك هو التوبة إلى الله، فيغفر الله لك ما كان منك.

إن تيقَّنت أنه جلَّ جلاله الرَّزَّاقُ، ولا رارق في الكون سواه، وَعَلِمْتَ أنك الفقير إليه، فأتَّجَهِت إلى العمل، وإلى حُسن التوكل على الله، مع الأخذ بالأسباب، فرزقك الله جلَّ جلاله **(أَنَا عِنْدَ طَرْنِ عِبْدِي بِي)**.

إذا ظننت أنه الرَّزَّاقُ، ستتحرَّك للعمل مع التوكل، فيرزقك الله تعالى، أمَّا الشخص الذي لا يعتقد يقيناً أنَّ الله هو الرَّزَّاقُ، يُعْشَى في المُعاملات، ما مشكلة من يعشون الناس؟ ضعفٌ في التصوُّر، يظنُّ أنه برزق نفسه، فإذا غشَّ المسلمين حقَّ أرباحاً أعلى، يظنُّ أنه هو الرَّزَّاقُ لنفسه، أمَّا لو تيقَّن أنَّ الرزق من الله وحده، يُعْرِضُ عن الغش والاحتكار، ويُعْرِضُ عن الكذب، ويتوكل على الله، ويأتي بالأسباب، فيرزقه الله تعالى، إذا المُشكلة في التصوُّر، التصوُّرات هي التي تُحرِّكنا.

أيها الإخوة الكرام: إن ظننت أنَّ الله تعالى هو القوي ولا قوي سواه، وأنت الضعيف ولا قوة لك إلا به، فأين تتجه؟ تتجه إليه وحده، فيقوي برضاه جلَّ جلاله ضعفك **(أَنَا عِنْدَ طَرْنِ عِبْدِي بِي)**.

أمثلة كيف يربط القرآن الكريم بين التصوُّر والسلوك:

أيها الإخوة الكرام: كثيراً ما يربط القرآن الكريم بين التصوُّر أو العقيدة والسلوك، انظر إلى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكذِّبُ بِالْدينِ (1)

(سورة الماعون)

هذا تصوُّرٌ، عقيدةٌ، مُنطَلِقٌ، يُكذِّبُ بالدين، لا يؤمن بدين الله تعالى، لا يؤمن بيوم القيامة، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَذُلِكَ الَّذِي يَدْعُ التَّيِّمَ (2)

(سورة الماعون)

هو نفسه، لما كذَّبَ بالدين ما الذي فعله؟ انظر إلى هذه الصورة المهيبة لهذا الإنسان، جاء إلى اليتيم الذي يتوَدَّد الناس إليه، وُحِبَّونه ويعطفون عليه، فإذا به يدعُّه، ينهره، بزجره، لا يُعطيه، لا يكتفي بأنه لا يُعطيه بل بزجره ويُبعده (فَدَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ) تكذيبه بالدين جعله يدعُّ اليتيم، بل إنَّ كلَّ الآيات التي افْتُخِت في القرآن، وعددها فوق الثمانين، بقوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، ثم جاء الأمر بعدها، تربط العقيدة بالسلوك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)

(سورة البقرة)

إن كنت مؤمناً حقاً، استعين بالصبر والصلاة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ بَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (254)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُفِيضُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ قَاصِبَةٌ وَأَيْلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۗ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278)

(سورة البقرة)

كل الآيات التي تبدأ بـ: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) تربط التصوُّر بالسلوك، (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) هي العقيدة، افعل ولا تفعل هو السلوك

كثير من سلوكات المسلمين المغلوطة هي نتيجة للمعتقدات الفاسدة التي يعتقدونها:

أيها الإخوة الكرام: إن كثيراً من سلوكات المسلمين المغلوطة اليوم، إنما هي نتيجة طبيعية للمعتقدات الفاسدة التي يعتقدونها، والمشكلة الكبرى أن تغيير المعتقد أصعب من تغيير السلوك، ولا يستطيعه إلا من تجرد للحق، وترك وراءه مصالحه وشهوته، ساصرب أمثلة:

عقيدة الجبر:

عقيدة الجبر، من يعتقد أن الله تعالى أجبر عباده على المعصية والطاعة، تقول له: لماذا لا تُصلي؟ يقول لك: الله لم يهدن بعد، هذا قدر الله، يتحجج بالقدر، بدلاً من أن يؤمن به، يتحجج به على تقصيره، لماذا تفعل المنكرات؟ يقول لك: يا أخي الله مُعَدِّرٌ عَلَيَّ ذلك، عقيدة الجبر دفعت كثيرين من المسلمين إلى الإقامة على المعاصي والآثام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَاوُوا بَأْسَنَا ۚ فَلَنْ هَلْ
عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۚ إِنْ تَشِيعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148)

(سورة الأنعام)

عقيدة فاسدة، أعطت مئات بل آلاف السلوكات الفاسدة، الفهم المغلوط لعقيدة الولاء والبراء، الولاء والبراء من عقيدة المسلم، أنه يوالي المؤمنين ويتبرأ من أعداء الله تعالى، لكن لما فهمها البعض فهماً مغلوطاً، أدت إلى استباحة الدماء، طرأ أنه يتبرأ من الكافرين يستيحيوا دماءهم، والأمر ليس كذلك، فالعقيدة الفاسدة أدت إلى سلوكات فاسدة.

عدم التيقن من أن الله عز وجل وحده من يعلم الغيب:

عدم التيقن من أن الله عز وجل وحده من يعلم الغيب، جعل بعض الناس يقرؤون الأبراج، يبحث عن مستقبله في الجريدة، أو على مواقع التواصل، أو في برنامج على بعض الفضائيات النافهة، يبحث عن مستقبله، بدلاً من أن يبني مستقبله على العمل وتوفيق الله عز وجل، يقول لك: قرأت برجي، لأنه لا يؤمن بالله لا يعلم الغيب إلا الله، عنده تصوّر مغلوط عن الموضوع.

عدم فهم التوحيد على الشكل الصحيح الذي يريده الله:

عدم فهم التوحيد على الشكل الصحيح الذي يريده الله، دفع بعض الناس إلى تأليه الأشخاص، والاعتقاد بعصمتهم وبقدرتهم على التصرف بالكون، يقول لك: فلان من الأولياء يتصرف بالكون، والعباد بالله، يُعطي التصرف بالكون لعالم من العلماء، أو لولي قد مات منذ ألف عام، يقول لك: الله منحه التصرف في الكون، لأنه لم يفهم التوحيد بالشكل الصحيح، لم يقرأ تماماً قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَعْبُدُوا اللَّهَ فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَابْتِغُوا لِي وَابْتِغُوا لِنَفْسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ غَنِيمًا ۚ وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَهُوَ كَمَا أَنَّ الشَّجَرَةَ يَحْمِلُ أَوْدَانَهُ مِنْ فَوْقِهَا فَكَيْفَ يَحْمِلُ الْإِثْمَ الَّذِي هُوَ لَافِيٌّ بِهِ عَنَ رَبِّهِ أَلَمْ يَأْتِ الْكُفْرَ بِلِلَّهِ وَرَبِّهِ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكُفْرَانِ
قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِاللَّهِ تَوَكَّلْتُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
قُلْ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ آيَاتُ فِي أَنْفُسِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (188)

(سورة الأعراف)

الفهم غير المتكامل لشفاعته النبي صلى الله عليه وسلم:

لم يقرأ حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، بل قرأه وما وعاه:

{ يَا عَلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ
الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ
يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ }

(أخرجه الترمذي وأحمد)

{ أنا فَرَطُكُمْ عَلَى الْخَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَطْفَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ. قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي التُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَبَّاسٍ وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا، فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ، قَالَ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سَحَقًا سَحَقًا لَمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي { (أخرجه مسلم)

لم يفهم الشفاعة بمفهومها المتكامل، فوقع في المعاصي والآثام، عدم الفهم الصحيح لمعنى الكرامة، والفرق بينها وبين المعجزة، والمعنى القرآني لأولياء الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)

(سورة يونس)

لَمَّا لم يفهم الفهم القرآني الصحيح لهذه المسألة، دفع البعض إلى تصديق الخزعبلات، وتصديق الشطحات، والأكاذيب، وتقديس الأشخاص، وكله باسم الدين.

القرآن الكريم يُصَحِّحُ التَّصَوُّرَاتِ لِتَصِحَّ بَعْدَهَا الْمَشَاعِرُ وَالسُّلُوكَاتِ:

القرآن الكريم أُنْهَا الكرام يُصَحِّحُ التَّصَوُّرَاتِ، لِتَصِحَّ بَعْدَهَا الْمَشَاعِرُ وَالسُّلُوكَاتِ، يُصَحِّحُ تَصَوُّرَكَ عَنِ الْكُونِ، النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا كُتِبَتْ الشَّمْسُ فِي يَوْمِ وَفَاةِ ابْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانُوا يظنون أنها قد تُكشَفُ لموت أحدٍ أو لحياته، انتصر للتوحيد، وهو في أصعب لحظات حياته يفقد ابنه، فقام وقال للناس:

{ إِنَّ الشَّمْسِ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَكُنْهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، يَخَوِّفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَصَلُّوا وَادْعُوا حَتَّى يَنْكَسِفَ مَا بِكُمْ }

(أخرجه البخاري والنسائي وأحمد والبراز)

صَحَّحَ الْمَفَاهِيمَ، التَّصَوُّورَ الْخَطَأَ يُنتِجُ سُلُوكَاتٍ خَاطِئَةً، لَا بُدَّ مِنْ تَصْحِيحِ التَّصَوُّرَاتِ.

بعض الأمثلة من القرآن الكريم في تصحيح التصوُّر المغلوط:

إِذَا قَرَأْتَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ آيَةً، تُفْتَحُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: "أَمْ حَسِبْتُمْ"، "أَمْ حَسِبْتُمْ النَّاسَ"، "أَيْحَسِبُونَ"، "فَلَا تَحْسِبَنَّ" مِثْلَ هَذِهِ الْآيَاتِ، فَاعْلَمْ أَنَّ هُنَاكَ تَصَوُّرًا مَغْلُوطًا يَرِيدُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنْ يُصَحِّحَهُ لَكَ، وَإِلَيْكُمْ بَعْضُ الْأَمْثَلَةِ:

فِي حَادِثَةِ الْإِفْكَ: عِنْدَمَا تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي عِرْضِ أُمِّتًا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، الطَّاهِرَةَ الْمُبْرَّرَةَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، يَصِفُ الْمَوْلَى جَلَّ جَلَالُهُ حَالَةَ صَنِيفٍ مِنَ النَّاسِ، لَمْ يَصْنَعُوا الْخَيْرَ، هُمْ مَا افْتَرَوْا كَذِبًا، لَيْسُوا مَنْ صَنَعَ الْخَيْرَ، الْخَيْرِ أَدَارَهُ بَعْضُ الْمُتَنَافِقِينَ وَعَلَى رَأْسِهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، هُمْ لَمْ يَصْنَعُوا الْخَيْرَ، وَلَكِنْهُمْ أَدَارُوهُ وَنَشَرُوهُ مِنْ غَيْرِ تَنْبِيٍّ، يَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى حَالَهُمْ يَقُولُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ يَا فَأُوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّبًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15)

(سورة النور)

تتناقلونه بألسنتكم، (وَتَقُولُونَ يَا فَأُوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) يقول لك: منقول، هكذا وصلني أنا لا دخل لي، العهدة على الناقل، منقول، يرسل لألف شخصٍ بكبسة زرٍّ، خبراً عن شخصٍ مُعَيَّنٍ بأنه فعل كذا، من غير تَنْبِيٍّ، وهو لم يفعل كذا، ويقول في نهايته: منقول، بريء الذمة، لا لست بريء الذمة.

(إِنَّ تَلْعَوْتَهُ بِالْأَسْتَيْكُمِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا) هذه هي العقيدة، هذا التصوُّر، أنا ما فعلت شيئاً (وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا) التصحيح: (وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) صَحَّحَ التَّصَوُّرَ، عند الله عظيم جداً أن تُدير خيراً تَمَسُّ به أعراض الناس، تغال شخصياتهم، ليس هَيِّئاً أبداً (وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ).

منالٌ آخر: عندما يُعرض الإنسان عن الله، ويعترق في المعاصي والآثام، ثم يجد أمره على ما يُرام، بيتٌ واسع، دنيا عريضة، دخلٌ كبير، يظن هو أو ربما يظن من حوله، أنه على خيرٍ عظيم، وربما امتدحوه، بعض الناس ربما يمتدحون هذا الشخص الفاسق المُنجرف، يمتدحونه على جمال بيته، وأناقته وثيابه، واستقباله لضيوفه في قصره، يمتدحونه، أين المشكلة؟ قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ نَفْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنََّّمَا نُفْلِي لَهُمْ لِيُرْدَادُوا إِنََّّمَا وِلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (178)

(سورة آل عمران)

أرَكَزَ على الآيات التي فيها "لا تحسبن"، "أحسبت الناس" (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ نَفْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ) هذه عقيدة مغلوطة، عقيدة مغلوطة أن تظنَّ أنَّ الفاسق إذا فَيَحَتَّ له الدنيا فهو خيرٌ له، التصحيح: (إِنََّّمَا نُفْلِي لَهُمْ لِيُرْدَادُوا إِنََّّمَا وِلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (56)

(سورة المؤمنون)

عقيدة مغلوطة.

إن رأى بعضُ ضعاف الإيمان الظالم يزدادُ ظلماً، يعمل فيما يبدو ما يشاء، ولا أحد يوقفه عند حده، لربما توهم وإن لم يقلها بلسانه، أنَّ الله قد غفلَ عنه، حاشاه أن يغفلَ جلَّ جلاله، ولربما قال بلسانه، وقد سمعنا ذلك مراراً، لربما قال بلسانه: أين الله مما يفعل هذا الظالم الأثم؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا تَعْمَلُ الْطَالِمُونَ إِنََّّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)

(سورة إبراهيم)

صَحَّحَ المفهوم بتصحَّح عندك كل شيء؛

تصوُّرٌ مغلوطة، التصحيح: (إِنََّّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) الحساب قادمٌ، وإن لم يحضل في الدنيا سيحضل في الآخرة، صحَّح المفهوم بتصحَّح عندك كل شيء؛ عندما يشتدُّ البلاء على المؤمن فيستغرب، ويقول لك البعض: ماذا فعلت لربِّي؟ هكذا يقول البعض، أقول ما نسمعه، يتصل بي بعض الناس يقول: أنا ماذا فعلت؟ أقيم الصلاة، وأمتنع عن الحرام، وأفعل الطاعات، ماذا فعلت؟ لماذا يُعاقبني الله؟ يفهمها عقوبة من الله عزَّ وجل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَحْسِبَتِ النَّاسُ أَنْ يُفْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ (2)

(سورة العنكبوت)

تصوُّرٌ مغلوطة، أن تظنَّ أنَّ الدنيا ليس فيها امتحان، أن تدخل إلى الجامعة وتخرج وتخرج دون أن تخصص لامتحان، تصوُّرٌ مغلوطة، التصحيح:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ قَتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)

(سورة العنكبوت)

الفتنة التي هي الاختبار لا بُدَّ منها، فلا تظن إذا ابتلاك الله عَزَّ وَجَلَّ تقول ماذا فعلت؟ لم تفعل شيئاً يا أخي، وكلنا نفعل من الصغائر ومن التقصير في حقِّ العبودية الكثير، ولكن أقول لك تماشياً مع قولك: أنت لم تفعل شيئاً، ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ يتلوك، وما الذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، حاشاه أن يعصي ربَّه وهو المعصوم، حتى ابتلاه الله عَزَّ وَجَلَّ بكل هذه الابتلاءات؟ التصوُّر المغلوط أنتج كلاماً غير صحيح، قال تعالى: (أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) التصحيح: (وَلَقَدْ قَتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ).
مرة ثانية أُّبها الكرام: أفكارنا تُحرِّك مشاعرنا وتوجِّه سلوكنا، لذا:

{ طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ }

(أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط وتمام في الفوائد والبيهقي في شعب الإيمان)

يُصَحِّحُ السُّلُوكَ بِنَاءً عَلَى الْمُعْتَقَدِ:

ومن هُنَا قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعِذْ لِدِينِكَ وَاللِّمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَتَّوَاكُمُ (19)

(سورة محمد)

ولم يُقل: فُل لا إله إلا الله، لأنَّ العلم بالتوحيد يُصَحِّحُ السُّلُوكَ، لِإِنِّدَّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ فِي الْكَوْنِ إِلَّا اللَّهُ، لَا رَازِقَ، وَلَا مُعْطِيَ، وَلَا مَانِعَ، وَلَا خَافِضَ، وَلَا رَافِعَ، وَلَا يَعْزِ، وَلَا يُذَلُّ إِلَّا اللَّهُ، فَيُصَحِّحُ السُّلُوكَ بِنَاءً عَلَى الْمُعْتَقَدِ (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) يجب أن تُراقب أفكارنا، وأن تُراجع ما اعتدنا عليه، وما رسخ في أذهاننا على أنه عقيدة ثابتة، القطعيات مُنتهية، وجود الله، وحدانيته، كماله، الإيمان باليوم الآخر، هذه من حيث القطعيات منتهية لا يناقش بها أحد، ولكن أحياناً الإنسان يعتاد على شيءٍ، وهذا الشيء يوجِّه سلوكه خطأ وهو لا يعلم، ماذا كانت مشكلة المُشركين؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (22)

(سورة الزخرف)

(وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) مشكلتهم بالتصوُّر، بأنه ما اعتدنا عليه، هذا السلوك وهذه العقيدة، ومشوا عليها، يجب أن نتحقَّق من مصادرها دائماً، وفي صحيح مسلم عن محمد بن سيرين:

{ إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ }

(أخرجه مسلم والدارمي)

وللحديث تيمّة... .

أيّها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنّ مَلَك الموت قد تخطّأنا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فلننخد جذرنا، الكيِّس من دان نفسه وعمل لقا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمتّى على الله الأمانى، واستغفروا الله.

الحمد لله ربّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

اللهم برحمتك عَمَّنَا، واكفنا اللهم شرّاً ما أهَمَّنَا وأَغَمَّنَا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توقُّفاً، نلقاك وأنت راضٍ عَنَّا.

اللهم إنّنا نسألك الجنة وما قرَّب إليها من قولٍ وعملٍ، ونعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قولٍ وعملٍ.

اللهم إنّنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار يا عزيز يا عَفَّار.

اللهم إنّنا نسألك لأهلنا المُستضعفين في فلسطين وفي عِزَّة وفي كل مكانٍ يُذكر فيه اسمك، نسألك لهم فرجاً عاجلاً.

نسألك يا الله أن تُطعم جائعهم، وأن تكسو عريانهم، وأن ترحم مُصابهم، وأن تؤوي غريبهم، وأن تجعل لنا في كل ذلك عملاً مُتقبلاً صالحاً، وأن تغفر لنا تقصيرنا فإنك أعلم بحالنا.

نسألك لبلادنا أمناً وأماناً، ولجميع ديار المسلمين يا أرحم الراحمين.

نسألك أن تبسط عليها رحمتك ورضوانك، وأن توقِّق القائمين عليها للعمل بكتابك وبسنة نبيك صلى الله عليه وسلم، وأن تُردَّ عنها كيد الكائدين ومكر الماكرين وحسد الحاسدين، إنك وليّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله ربّ العالمين.

مركز الدين الاسلامي